مقام النبي الأعظم عند ربه قرآنيًّا

م.م. علي عزيز نعمة المعموري
aliww9170@gmail.com
كلية الإمام الكاظم/ أقسام بابـــل

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "مقام النبي الأعظم عند ربه" كما ورد في القرآن الكريم، وهو موضوع عظيم يدل على مكانة النبي محمد ﷺ عند الله سبحانه وتعالى. فقد احتوى القرآن الكريم على إشارات واضحة ودقيقة لمقامات رفيعة اختُص بها النبي ﷺ دون غيره من الخلق، ما يدل على شرف منزلته، وعلو قدره، وخصوصية علاقته بربه.

تناول البحث أبرز المقامات التي وردت في القرآن مثل المقام المحمود الذي هو شفاعة النبي ﷺ العظمى يوم القيامة، والتي اختصه الله بها دون سائر الأنبياء والمرسلين. كما بينت الآيات اصطفاء الله للنبي محمد ﷺ من بين خلقه، ورفعه لذكره في الدنيا والآخرة، ودعمه بالوحي والتسديد الرباني.

كذلك أشار البحث إلى عظمة خلق النبي ﷺ كما وصفه الله في قوله: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ"، ما يدل على كمال صفاته النفسية والعملية. ومن جوانب المقام القرآني للنبي ﷺ أيضًا قربه من ربه، كما في حادثة المعراج حيث بلغ مقامًا لم يبلغه أحد قبله.

كما أن الآيات تبين أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، ما يدل على أنه موصول بالله في كل أمره، وأنه نموذج الإنسان الكامل في الطاعة والتبليغ. كل هذه المواضع تؤكد عظمة النبي ﷺ وضرورة توقيره وطاعته.

وختامًا، فإن معرفة مقام النبي ﷺ من خلال القرآن ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي باب من أبواب تقوية الإيمان، وغرس المحبة الصادقة لرسول الله في قلوب المسلمين، وتعظيم سنته، والدفاع عن مقامه الشريف في كل زمان.

الكلمات المفتاحية: مقام النبي، المقام المحمود، الشفاعة العظمى، وحي النبوة، رفعة الذكر.

The status of the greatest prophet with his Lord in the Qur'an

Assist: Ali Aziz Ne'mah Al-Maamouri
Imam Al-Kadhim College / Babylon Departments

Abstract:-

This research addresses the topic of "The Prophet's Greatest Status with his Lord," as mentioned in the Holy Quran. This is a significant topic that demonstrates the status of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) before God Almighty. The Holy Quran contains clear and precise references to the lofty positions that are unique to the Prophet (peace and blessings be upon him) and not to any other creation. This demonstrates the honor of his status, his lofty status, and the special nature of his relationship with his Lord.

The research addressed the most prominent stations mentioned in the Quran, such as the Praised Station, which is the Prophet's (peace and blessings be upon him) greatest intercession on the Day of Resurrection, a status God has bestowed upon him over all other prophets and messengers. The verses also demonstrate God's selection of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) from among His creation, elevating his status in this world and the hereafter, and supporting him with divine revelation and guidance.

The research also pointed to the greatness of the Prophet's character, as described by God in His words: "And indeed, you are of a great moral character," indicating the perfection of his psychological and practical qualities. Another aspect of the Prophet's Quranic status is his closeness to his Lord, as in the incident of the Ascension to Heaven, where he attained a status no one before him had attained.

The verses also indicate that the Messenger, peace and blessings be upon him, does not speak from his own desires, but rather that he is guided by revelation. This indicates that he is connected to God in all his affairs and that he is the perfect model of human beings in obedience and conveying the message. All of these passages affirm the greatness of the Prophet, peace and blessings be upon him, and the necessity of venerating and obeying him.

In conclusion, understanding the status of the Prophet (peace and blessings be upon him) through the Qur'an is not merely theoretical knowledge. Rather, it is a means of strengthening faith, instilling sincere love for the Messenger of God in the hearts of Muslims, venerating his Sunnah, and defending his noble status at all times.

Keywords: The status of the Prophet, the praised status, the great intercession, the revelation of prophecy, the elevation of remembrance.

مقام النبي الاعظم عند ربه قرآنيًّا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إنَّ من أعظم ما يُبحث فيه ويُكتب عنه، هو **شأن النبي الأعظم محمد** ﷺ، خاتم النبيين وسيد ولد آدم، الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، فكان بحقٍّ رحمةً للعالمين. وقد حظي النبي ﷺ بمكانة رفيعة ومقام عال عند ربه، بيّنه القرآن الكريم في آيات كثيرة، تتحدث عن صفاته، وفضله، واصطفائه، ومحبّة الله له، وتكريمه فوق سائر خلقه[1].

لقد نزل القرآن الكريم يتلى آناء الليل وأطراف النهار، يحمل بين سطوره إشارات واضحة إلى **عظمة النبي** ﷺ **ومقامه** عند الله تعالى، من ذلك قوله تعالى:(**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**) (الشرح: ٤). وقوله:(**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ◆ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**) النجم: (٣-٤)، وقوله:(**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**) (القلم: ٤). فقد رفع الله ذكره، وأمر بطاعته، وقرن اسمه باسمه، وشرّف أمّته بشريعته، وجعل محبّته من محبّته، وطاعته من طاعته، فقال: (**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**) النساء: (٨٠).

ولم يقتصر التكريم الإلهي للنبي ﷺ على الرسالة والبلاغ، بل جاوز ذلك إلى بيان مقامه في الآخرة، حيث يُبعث في "**المقام المحمود**"، وهو مقام الشفاعة العظمى يوم القيامة، كما جاء في قوله تعالى: (**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**) الإسراء: (٧٩)وقد تناول علماء التفسير هذا المقام بتفصيل، فقال الإمام الطبري في تفسيره" :هو مقام الشفاعة، يشفع فيه النبي لأهل الموقف حين يشتد بهم الكرب، فيُحمده فيه أهل الجمع كلهم"الطبري، تفسير سورة الإسراء﴾. كما بيّن الإمام القرطبي أن هذا من الخصوصيات الكبرى للنبي ﷺ التي تفرد بها بين الرسل القرطبي، تفسير الآية ومن خلال هذا البحث، نُسلط الضوء على هذا المقام القرآني الفريد للنبي محمد ﷺ، من خلال تتبع الآيات التي تتحدث عن منزلته، وتفسيرها في ضوء ما ورد عن السلف والعلماء، لنزداد معرفة برسولنا الكريم، ومحبة له، واتباعًا لسنته، ودفاعًا عن شرفه[2].

١. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

٢. التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، تحقيق وتصحيح: احمد حبيب نصير العاملي، مطبعة مكتب الاعلا قم المشرفة، ١٤٠٩هـ.

إن دراسة مقام النبي ﷺ ليست ترفًا علميًا، بل هي جزء من العقيدة، وركن من أركان التزكية، لأنها تعرّف المسلم بقدوته ومثله الأعلى، وتقربه من معرفة ربه، من خلال من أرسله له، ودعاه على يديه.

اولًا: أهمية البحث

يُعد موضوع مقام النبي محمد ﷺ عند ربه من أعظم وأشرف الموضوعات التي تتناولها الدراسات الإسلامية، نظرًا لما له من أثر عميق في العقيدة والسلوك والفهم القرآني. وتكمن أهمية هذا البحث في الأمور الآتية:

١. إبراز مكانة النبي محمد ﷺ كما وردت في القرآن الكريم، كمصدر رئيسي من مصادر التشريع والعقيدة.

٢. دعم العقيدة الإسلامية بفهم أعمق لموقع النبي ﷺ في علاقة العبد بربه، ما يعزز محبته وطاعته والاقتداء به.

٣. تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة أو المنقوصة حول منزلة النبي ﷺ بين الناس، ورد الشبهات التي تثار حول خصوصيته النبوية.

٤. توجيه المسلم إلى تعظيم الرسول ﷺ وتقديره، بوصفه قائدًا للأنبياء وخاتمهم، ومُبلِّغًا عن الله، وقريبًا من ربه.

٥. المساهمة في تنمية الفكر التربوي والإيماني من خلال الوقوف على ما تضمنه القرآن من إشارات روحية وأخلاقية تخص مقام النبي ﷺ.

ثانيًا: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أبرزها:

١.بيان مقامات النبي محمد ﷺ الخاصة في القرآن الكريم، وشرح دلالاتها ومعانيها.

٢.الوقوف على دلائل القرب الإلهي والخصوصية النبوية، كما وصفها القرآن الكريم، وبيان ما تتضمنه من إشارات عقدية وروحية.

٣.جمع النصوص القرآنية ذات الصلة بمقام النبي ﷺ وتحليلها تحليلًا لغويًا وتفسيريًا.

٤.إثبات أن مكانة النبي محمد ﷺ ليست مكانة بشر عادي، بل مقام خاص مرتبط بوحي إلهي واصطفاء رباني.

٥.ترسيخ قيمة محبة النبي ﷺ وتعظيمه في قلوب المسلمين، تأسيسًا على نصوص الوحي لا مجرد العاطفة أو التقليد.

ثالثًا: تعريف المصطلحات لغويًا واصطلاحًا

-المقام

١.لغويًا: المقام من "قام يقوم"، والمكان الذي يقف فيه الإنسان أو يثبت فيه، ويُطلق على **المنزلة أو المرتبة**، كأن يُقال: "فلان في مقام كريم."[١]

٢.اصطلاحًا:هو **المنزلة التي يخص الله بها نبيًا أو عبدًا صالحًا**، وتدل على رفعة قدره وسمو مكانته، سواء أكانت هذه المنزلة دنيوية (كالنبوة والتبليغ) أم أخروية (كالشفاعة والوسيلة)[٢]

١.ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة "خص"، ج٢، ص٩٠.

٢.الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الخاء فصل الصاد.

المبحث الأول

المقامات الخاصة بالنبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم

لقد خصَّ الله نبيَّه محمداً ﷺ بجملةٍ من المقامات العظيمة، التي لم يُمنَح مثلها نبيٌّ قبله، وجاء بيان هذه المقامات في القرآن الكريم بأساليب متعددة، منها: التصريح، والإشارة، والتمثيل، والوصف، وكلها تدل على علو مكانته عند الله، وسمو قدره، وعظيم شأنه في الدنيا والآخرة.

أولاً: مقام الشفاعة – "المقام المحمود"

قال تعالى: **(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)** الإسراء: ٧٩

هذا "المقام المحمود" هو **الشفاعة العظمى** يوم القيامة، حين يشتد الكرب بالخلق، ويبحث الناس عمَّن يشفع لهم عند الله، فلا يجدون إلا النبي محمداً ﷺ، فيُكرمه الله بهذا المقام، الذي يحمده عليه الخلق أجمعون. يقول ابن كثير[١]:

"*وهو المقام الذي يقومه رسول الله ﷺ للشفاعة يوم القيامة، فيحمده عليه أهل الجمع كلهم"❖[1].

وهذا المقام متفرد به النبي ﷺ، وهو من دلائل رفعة منزلته بين الأنبياء، ويُستدل عليه من حديث الشفاعة الطويل في الصحيحين، وفيه:[٢]

"*أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر... فيُقال: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع..."❖[2].

ثانيًا: مقام الاصطفاء والاختيار الإلهي

قال تعالى :**(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)** الأنعام: ١٢٤

اختار الله نبيه محمداً ﷺ ليكون خاتم المرسلين، بعد أن سبقه في الاختيار الأنبياء، لكنه اختصه بخاتمة الرسالات، وأكمل له الدين، وجعل شريعته ناسخة لما قبلها. ويعلّق الطبري على هذه الآية بأن الله أعلم بمن هو أهل للرسالة، وهو أعلم بقلوب عباده، فيصطفي من يعلم أنه يصلح لحمل أمانة الوحي والتبليغ."والاصطفاء يشير إلى **مكانة معنوية وروحية سامية**، أساسها الطهارة الظاهرة والباطنة،[٣] والكمال البشري الذي بلغه النبي ﷺ.

١.تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، تحقيق: السيد محسن الحسيني الاميني، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٤١٦هـ.

٢. تفسير القرآن الكريم، عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٥

٣. تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط/٣، مؤسسة دار للطباعة والنشر، ايران، قم، ١٤٠٤هـ

ثالثًا: مقام الأخلاق العظيمة

قال تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم: ٤

هذه الآية شهادة ربانية لا نظير لها، يصف فيها الله تعالى نبيه بأنه صاحب "خُلُقٍ عظيم"، أي أنه بلغ الكمال الأخلاقي في كل تعاملاته. يقول الإمام الرازي:[١]

الخلق العظيم هو كمال الانقياد لأوامر الله، وحُسن المعاشرة مع الخلق، وقد جمع النبي ﷺ بين الحُسنين."

"*كان خُلُقه القرآن." وهذا يدل على أن سلوك النبي ﷺ كان تطبيقًا حيًّا لتعاليم القرآن، وقدوة عملية لكل مسلم في كل زمان.

رابعًا: مقام الرحمة

قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء: ١٠٧[

هذه الآية تبين أن النبي ﷺ أُرسل رحمة للناس كافة، مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، وهي رحمة شاملة في الرسالة والهداية والمغفرة والشفاعة. قال الإمام الطبري"*:أرسلناك رحمةً لمن آمن بك، بأن تُدخلهم الجنة، ورحمة للكافر بأن تُؤخر عذابه."

وقد تجلت هذه الرحمة في سيرته، حين عفا عن أهل مكة، وقال" :اذهبوا فأنتم الطلقاء".[٢]

خامسًا: مقام رفع الذكر

قال تعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) الشرح: ٤

هذه الآية الكريمة تحمل بشارة إلهية برفع ذكر النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فهو يُذكر مع الله في الأذان، والتشهد، والخطب، والدعاء، وهذا من أعظم مظاهر التكريم الإلهي له. قال الحسن البصري"* :لا يُذكر الله إلا ذُكرت معه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ويقول السعدي"*:رفعنا لك ذكرك، فلا يُذكر الله في موضع من المواضع إلا ذُكرت معه، وهذا كمال التشريف.[٣]

١. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥م.

٢. مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.

٣. المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

سادسًا: مقام الطاعة والاتباع المفروض

قال تعالى :(**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**) النساء: ٨٠

هذه الآية تضع طاعة النبي ﷺ في مرتبة طاعة الله، وتُثبت أن طاعته ليست نافلة أو خياراً، بل فرض وواجب، وهي من دلائل المقام العظيم للنبي ﷺ، فقد جعل الله طاعته دليل الإيمان ومفتاح الهداية.[١]

يقول ابن عطية* :فيها تأكيد على أن أوامر النبي ﷺ ليست اجتهاداً بشرياً، بل هي وحي منزل، وطاعته طاعة لله.[٢]

سابعًا: مقام التبليغ والوحي

قال تعالى: (**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ◆ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**) النجم: ٣-٤

في هذه الآيات إثبات أن النبي ﷺ لا يتكلم من نفسه، بل هو مبلغ عن الله، لا يُخطئ في التبليغ، ولا يخرج عن الوحي، وهذا مقام عظيم يدل على العصمة في البلاغ، وهو مما لا يُمنح إلا لنبي صادق.[٣]

١.تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للطباعة، قم المقدسة، ١٩٩٧م.

٢. تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط/٤، مؤسسة الاسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ١٤١٢هـ.

٣. تنوير الاذهان في تفسير روح البيان، الشيخ اسماعيل حقي البروسي، تحقيق واختصار: محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان، بغداد، ١٩٩٠م.

المبحث الثاني

أوصاف الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم

وصفه في القرآن الكريم بأنه بشر يوحى اليه وذكرت بانه يشارك غيره من بني آدم بصفة البشرية هذه إلا انه امتاز عنهم بالوحي الإلهي الذي يرفع قدره ومكانته عن بقية البشرية. ثم تحدثت عن عبوديته لله من خلال وصف الله له بأنه عبد الله فقد اضافه الله اليه بقوله (بعبده). وهذه الاضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتكريم، ثم وصفه بأنه نبي ورسول وبأنه مكتوب عندهم في التوراة والانجيل ولكنهم كتموا ذلك حسدا وعدوانا، وذكره في اكثر من آية كريمة بأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهي وظيفتا الانبياء والمرسلين. وأنه يُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث وذلك هو الذوق الرفيع، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم من تشديد الشرائع السابقة، وأنه برهان ونور من الله وشاهد وداعٍ الى الله بإذنه، كما اثنى عليه في آيات أخر بالاشارة الى أنه رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، وبأنه الهادي الى عبادة الله والى الخير والقرب من الله، وأنه خاتم الانبياء والمرسلين وهذه الصفة هي خاصة بالرسول الاعظم محمدﷺ. وان هناك اوصاف في القرآن الكريم ذُكرت صراحة واخرى ذُكرت إشارة لا مجال لذكرها في هذا البحث الصغير. ومن الله العون وهو الهادي الى السبيل والحمد لله رب العالمين.

- (بشر يوحى اليه)

البشر : الخلق.

البشر : الانسان المفرد وغيره، للمذكر والمؤنث.

البشرة : ظاهر الجلد، وبشرة الارض ما ظهر من نباتها[١]

وسمي البشر بشرا لتجرد بشرته من الشعر والصوف والوبر[٢].

وقد وصف الله رسوله الكريم بقوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[١] فالرسول

[١] – مختار الصحاح، ٤٧

[٢] – لسان العرب، ٥٩/٤، تاج العروس من جواهر القاموس، ٤٤/٣

يشارك غيره من بني آدم بصفة البشرية الا انه امتاز عنهم بالوحي االالهي الذي يرفع قدره ومكانته عن بقية البشرية، بل على جميع المخلوقات فهو افضل مخلوقات الله على الاطلاق بما اوتي من وحي الله تعالى.

- (على خلق عظيم)

ان ابلغ تعبير رباني عرفه الانسان في حق النبي محمد ﷺ هو ما وصفه الله به في قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٢] وذلك بعد ثلاث آيات تناسب موضوع عظمة اخلاقه اذ قال تعالى (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ❖ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ❖ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ❖ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[٣] وفي هذا بيان والفات نظر لعظم شرف النبي ﷺ وشهادة من الله تعالى له بأنه على اكمل الاخلاق واتمها وارفعها وافضلها، بحيث لا يدانى فيها بحال من الاحوال.

فقد وصل ﷺ إلى الذروة العالية من الخلق الحسن مع كل طبقات المجتمع من المشركين والكافرين والمنافقين والمؤمنين، فمدحه بأعظم مدح ولو كان هناك مدح أعظم من ذلك لمدحه به.

- (رؤوف رحيم)

يقول الله تعالى اسمه (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)[٤] وهنا نجد ان الله تبارك وتعالى قد خص نبينا الكريم ﷺ دون سائر الانبياء بصفتين من صفاته تعالى إذ وصفه بأنه (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[٥] أي بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم[٦]، فقد اختار الله النبي ﷺ من بين العرب لدعوته وختم رسالاته فهو رؤوف بالمؤمنين عامة عربا وعجما اذ يشفق عليهم ان يصيبهم الضرر، وهو في غاية الحرص على دفع

---

[١] – سورة الكهف / ١١٠

[٢] – سورة القلم / ٤

[٣] – سورة القلم / ١– ٤

[٤] – سورة البقرة / جزء من الآية ١٤٣

[٥] – سورة التوبة / ١٢٨

[٦] – تفسير الميزان، ١ / ١٦٦

الاذى عنهم وهو رحيم بهم يبذل كل ما في الوسع احسانا اليهم وجهادا في سبيل النفع العميم لهم[1].

- **(عبد الله)** العبودية : هي الخضوع والذل، ويقال عبد الله عبادة وعبودية أي انقاد له وخضع، وتعبد أي تقرب الى الله بالعبادة.

والعبادة : الخضوع للاله على وجه التعظيم[2].

وقد وصف الله رسوله الكريم بالعبودية في كثير من آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[3] وقد اجمع المفسرون والعلماء ان المراد به سيدنا محمد ﷺ، وقوله بعبده - اضافة تشريف وتعظيم وتبجيل وتكريم، وقيل لما بلغ رسول الله ﷺ الى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله عز وجل اليه : يا محمد بم شرفتك ؟ قال : ربي حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية. ومن الآيات التي تتحدث عن العبودية ايضا قوله تعالى (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[4] وقوله تعالى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا)[5]. وقوله تعالى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)[6]. وقوله تعالى (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)[7] وقوله تعالى (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ)[8].

والعبد المراد في كل هذه الآيات الكريمة هو رحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ وهذه الصفة هي اشرف الفضائل التي يفخر بها رسول الله ﷺ امام خالقه تبارك وتعالى، فالعبودية هي اعلى مراتب الدين وارقى درجات الطاعة، فهي صفة تؤدي بالانسان الى ان يعبد ربه في كل مقام بما

[1] – مفهوم الاخلاق واساسه وقبس من اخلاق النبي (ص) حسبما ورد في القرآن، ٢٠٦

[2] – معجم مقاييس اللغة العربية، ٤٠٣

[3] – سورة الاسراء / ١

[4] – سورة البقرة / ٢٣

[5] – سورة الكهف / ١

[6] – سورة الفرقان / ١

[7] – سورة الجن / ١٩

[8] – سورة الانفال / جزء من الآية ٤١

يناسب ذلك المقام فيتحقق من وراء ذلك خير كثير موصول، وهي حين تتحقق لصاحبها على حقيقتها ووجهها الصحيح تجعله من الاتقياء والاوفياء المسارعين الى المغفرة والطاعة[١].

- (البشير النذير)

التبشير : هو الدعوة الى الدين، والبشارة الخبر السار، والبشرى ما يبشر به[٢].

والنذير : هو المنذر، يقال تناذر القوم : أي انذر بعضهم بعضا شرا وخوف بعضهم بعضا منه[٣].

قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[٤]. مجموعة من الاوصاف في قمة البيان وغاية الثناء من الله سبحانه على سيدنا محمد ﷺ بأنه رسول الله وشاهد على امته نظير قوله تعالى (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)[٥] وهذا الشاهد الكريم يبشر امته بالجنة وينذرهم ويحذرهم من النار بالدخول فيها ان لم يتبعوه، وهو فوق كل هذا وذاك داع الى الله بأذنه وبأمر منه ووحيه، وهو السراج المنير الذي ينير درب الحياة المظلمة والمحفوفة بالمخاطر والمهالك والردى[٦].

- (المدثر، المزمل)

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ❖ قُمْ فَأَنْذِرْ ❖ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)[٧]، والمدثر بتشديد الدال والثاء أصله المتدثر اسم فاعل من التدثر بمعنى التغطي بالثياب عند النوم.

والمعنى: يا أيها المتغطي بالثياب للنوم خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد كان على هذه الحال فخوطب بوصف مأخوذ من حاله تأنيسا وملاطفة.

---

[١] – موسوعة اخلاق القرآن، ١ / ١٤٨– ١٥٠

[٢] – معجم مقاييس اللغة العربية، ٥٢

[٣] – نفس المصدر السابق، ٦٠٩

[٤] – سورة الاحزاب / ٤٥ – ٤٦

[٥] – سورة النحل / ٨٩

[٦] – تفسير الميزان، ١٦ / ١٧٤

[٧] – سورة المدثر / ١ – ٣

وقيل: المراد بالتدثر تلبسه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة بتشبيهها بلباس يتحلى به ويتزين وقيل: المراد به اعتزاله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيبته عن النظر فهو خطاب له بما كان عليه في غار حراء، وقيل: المراد به الاستراحة والفراغ فكأنه قيل له (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أيها المستريح قد انقضى زمن الراحة وأقبل زمن متاعب التكاليف وهداية الناس.

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)[1]، بتشديد الزاي والميم وأصله المتزمل اسم فاعل من التزمل بمعنى التلفف بالثوب لنوم ونحوه، وظاهره أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد تزمل بثوب للنوم فنزل عليه الوحي وخوطب بالمزمل.

وليس في الخطاب تهجين ولا تحسين كما توهمه بعضهم، نعم يمكن أن يستفاد من سياق الآيات أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد قوبل في دعوته بالهزء والسخرية والإيذاء فاغتم في الله فتزمل بثوب لينام دفعا للهم فخوطب بالمزمل وأمر بقيام الليل والصلاة فيه والصبر على ما يقولون فأفيد بذلك أن عليه أن يقاوم الكرب العظام والنوائب المرة بالصلاة والصبر لا بالتزمل والنوم.

وقيل: المراد يا أيها المتزمل بعباءة النبوة أي المتحمل لأثقالها[2] .

فقوله تعالى : يا ايها المدثر، ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل يا محمد ليستشعر اللين والملاطفة من ربه[3]، وكذلك في المزمل، فالمزمل أسم من حالته التي كان عليها حين الخطاب وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان : الاولى الملاطفة والمؤانسة ليستشعر انه غير عاتب عليه. والثانية هي التنبيه لكل متزمل راقد ليله ليتنبه الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه، لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة[4].

- (رسول من انفسكم)

ومن أوصافه ﷺ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وصفه تعالى إياه في الآية الكريمة (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[5]، وقد

[1] – سورة المزمل / ١

[2] – تفسير الميزان، ٢٠ / ٤٤

[3] – الجامع لأحكام القرآن، ١٩ / ٦١

[4] – المصدر نفسه، ١٩ / ٣٣ و ٦١

[5] – سورة التوبة / ١٢٨

اختلف المفسرون في تفسير قوله من انفسكم فبعضهم قال ان المراد بها انه بشر مثلكم لقوله تعالى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ)[1] وقوله تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)[2] أي انه لم يكن من جنس الملائكة. وبعض المفسرين قال ان المراد بـ من انفسكم أي من العرب نظير قوله تعالى (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[3].في حين ذهب البعض الآخر من المفسرين الى

إنَّ مقصودها هو خطاب لأهل الحرم، وذلك لان العرب كانوا يسمون اهل الحرم اهل الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون بإصلاح مهماتهم، فكأنه قيل للعرب كنتم قبل مقدمه مجدين مهتمين في خدمة اسلافه وآبائه فلم تتكاسلوا في خدمته. وهناك تفسير رابع لبعض المفسرين يرى فيه ان المقصود من ذكر هذه الصفة هو التنبيه على طهارتهﷺ. كأنه قيل هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف والصيانة، وتعرفون كونه حريصا على دفع الآفات عنكم وايصال الخيرات لكم، وارسال من هذه حالته وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم[4]. وقرئ (من انفسكم) بالفتح، أي من اشرفكم وافضلكم[5].

كما يذهب قسم آخر من المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة الى أن المراد برسول من أنفسكم قد يكون بمعنى من أشقائكم وأعزاءكم، كما يقول القائل : لذي ودّه والقريب من قلبه : أنت من نفسي، وأنت من قلبي. أي أنت شقيق النفس، وقسيم القلب.

ومما يقوي ذلك قوله سبحانه : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)[6] أي بحبه لكم، وميله إليكم، يعز عليه أن تعنتوا وتعاندوا فتحرموا الثواب وتستحقوا العقاب، فهو حريص على إيمانكم رأفة بكم وإشفاقاً عليكم[7].

[1] – سورة يونس / ٢

[2] – سورة فصلت / جزء من الآية ١١٠

[3] – سورة آل عمران / ١٦٤

[4] – مفاتيح الغيب، ٨ / ٣٤٢

[5] – مجمع البيان في تفسير القرآن، ٢ / ٢٨٨ – ٢٨٩

[6] – سورة التوبة / ١٢٨

[7] – تفسير القمي، ١١ / ٢١

- (اول المسلمين)

يتفاوت الناس في اسلام وجوههم لله تعالى، ولابد من ان يكون احدهم اول، فكان رسول الله ﷺ اولهم بإطلاق مطلق وهذا ما تشير اليه الآية الكريمة (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[1]. والتي تدل على ادب بارع ادب الله به رسوله الكريم وندب هو اليه امته[2]. ولم يصف القرآن الكريم بـ اول المسلمين شخصا آخر غير الرسول ﷺ ولو لم يوجد اول المسلمين، المتمم لمكارم الاخلاق، ذلك الذي كانت صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين، لو لم يوجد هذا الكائن الرباني لظل العالم مستشرفا اليه، ليكمل به ولظل العالم ناقصا مادة وروحا، فلما وجد ﷺ انتهت حكمة الله بوجوده وبرسالته الى ما بينه الله تعالى بقوله الشريف (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[3].

- (خاتم الانبياء والمرسلين)

الخاتم من كل شئ آخره[4]، وخاتم النبيين آخرهم، وهي صفة خاصة للرسول الاعظم ﷺ، حيث وصفه الله بها في القرآن الكريم فقال تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[5]. وخاتم النبيين ختم الله به النبوة، فلا نبوة بعده ولا معه، فان قيل قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل آخر الزمان بعده وهو نبي قلنا: ان عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله وممن بشر بمجيئه ﷺ كما انه حين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد ﷺ ومصليا الى قبلته كأنه بعض أمته[6].

ويقول الآلوسي[7] في قوله تعالى (وخاتم النبيين) قيل انه جئ به ليشير الى كمال نصحه وشفقته ﷺ ذلك لان الرسول الذي يكون بعد رسول ربما لا يبلغ في الشفقة غايتها وفي النصيحة نهايتها اتكالا على من يأتي بعده كالوالد الحقيقي اذا علم ان لولده بعده من يقوم مقامه.

[1] – سورة الانعام / ١٦٢ – ١٦٣
[2] – تفسير الميزان، ٦ / ١٦١
[3] – سورة المائدة / جزء من الآية ٣
[4] – مختار الصحاح، ١٣٢
[5] – سورة الاحزاب / ٤٠
[6] – رسول الله في القرآن، ٩٨
[7] – روح المعاني، ١١ / ٣٢ – ٣٤

- (الهادي)

الهادي : الدليل. يقال هديته الطريق : أي دللته الطريق.

الهداية : هي الدلالة على ما يوصل الى المطلوب[١].

والهادي اسم من اسماء الله الحسنى وصفة من صفات الرسول الاعظم ﷺ ذكرها الله في القرآن الكريم، لان الرسول يهديهم الى عبادة الله ويدلهم عليه وعلى سبيل الخير والايمان المقرب منه عز وجل، وقد وردت لفظة هدى ومشتقاتها في كثير من آيات القرآن الكريم تتحدث عن صفة الرسولﷺ[٢]، مثل قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٣].

والهداية هنا لها معنيان كما يقول بعض العلماء[٤] ، هداية بمعنى الدلالة وهداية بمعنى المعونة، فاما التي للرسول فهي الهداية بمعنى الدلالة (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[٥]، أي تدل الناس وترشدهم الى طريق الخير، اما ان سلكوه او لايسلكوه، ان يؤمنوا به او لا يؤمنوا به فهذا موضوع آخر، فالذي يؤمن به ويقبل على منهاج الله فيه ويصدق الله فيه تكون هداية الله له في ان ييسر عليه الامر ويعينه عليه، والى هذا اشار تبارك وتعالى بقوله (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)[٦]. أي الذين اهتدوا إلى الحق، ووصلوا إلى الهدى والايمان (زادهم هدى) فالضمير في زادهم يحتمل ثلاثة اوجه:

الاول - زادهم الله هدى بما ينزل عليهم من الآيات والاحكام، فاذا اقروا بها وعرفوها زادت معارفهم.

الثاني - زادهم ما قال النبي صلى الله عليه واله هدى.

الثالث - زادهم استهزاء المنافقين إيمانا.

[١] - التعريفات، ١٤٠

[٢] - المعجم المفهرس، ٧٣١ - ٧٣٦

[٣] - سورة الشورى / ٥٢

[٤] - الرسول العربي المربي، ٧٢

[٥] - سورة الشورى / جزء من الآية ٥٢

[٦] - سورة محمد / ١٧

والوجه في إضافة الزيادة في الهدى إلى الله هو ما يفعله تعالى بهم من الالطاف التي تقوية دواعيهم إلى التمسك بما عرفوه من الحق وتصرفهم عن العدول إلى خلافه. ويكون ذلك تأكيدا لما عملوه من الحق وصارفا لهم عن تقليد الرؤساء من غير حجة ولا دلالة [1].

- **(شاهداً، شهيداً)**

الشاهد : هو الدليل، والشاهد : الحاضر، والشاهد هو من يؤدي الشهادة.

والشهادة : ان يخبر بما رأى، وان يقر بما علم، يقال شهد على كذا : أي اخبر به خبرا قاطعا[2].

وقد وردت كلمة شاهد في ستة مواضع من القرآن الكريم ثلاثة منها تصف النبي الاكرم محمد ﷺ بانه شاهد[3]. منها قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)[4]، أي على امتك بابلاغك اياهم ما ارسلناك به من رسالة.

وقيل شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم واعمالهم وتتحمل عنهم الشهادة عما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة اداءً مقبولا فيما لهم وما عليهم[5]، كما ورد وصف الشهادة في آية اخرى في قوله تعالى (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)[6].

وعليه نجد ان أكثر الأقوال في ذلك مبني على أخذ الشهادة بمعنى أداء ما حمل من الشهادة وبعضها على تفريق بين الشاهد والمشهود في معنى الشهادة، والأنسب للسياق أخذها بمعنى المعاينة وإن استلزم الشهادة بمعنى الأداء يوم القيامة، وأن الشاهد يقبل الانطباق على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). كيف لا ؟ وقد سماه الله تعالى شاهدا إذ قال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)[7].

[1] – التبيان في تفسير القرآن، ٩ / ٢٩٠
[2] – معجم مقاييس اللغة العربية، ٣٥٢
[3] – المعجم المفهرس، ٣٨٨
[4] – سورة الاحزاب / ٤٥
[5] – الجامع الصحيح، ٥٠٥٠
[6] – سورة النساء / ٤١
[7] – سورة الاحزاب / ٤٥

وسماه شهيدا إذ قال: (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ)[1] حيث يعرف معنى شهادة الأعمال من شهدائها[2].

- (داع الى الله)

الداعية: هو الذ يدعو الى دين او فكر. يقال دعاه بدعاية الاسلام، والدعوة الى الله هي وظيفة الانبياء والرسل عليهم السلام[3]، وقد وصف الله نبيه ﷺ بها فقال (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[4] أي داعيا الى الله لا الى دنيا ولا الى مجد ولا الى عزة ولا الى عصبية جاهلية ولا الى مغنم ولا سلطان او جاه ولكن داعيا الى الله في طريق واحد يعمل الى الله بإذنه. فما هو بمبتدع ولا بمتطوع ولا بقائل من عنده شيئا، انما هو اذن من الله له وامره لا يتعداه[5]، وقيل داعيا الى توحيد الله وافراد الالوهية له واخلاص الطاعة لوجهه دون من سواه من الآلهة والاوثان وكل ذلك بأمره تعالى[6].

- (نور من الله)

النور : ما يبين الاشياء، ويري الابصار حقيقتها[7]، ولقد وردت لفظة نور ومشتقاتها في كثير من آيات القرآن الكريم. وورد قسم منها في وصف النبيﷺ. فالرسول هو النور الذي يهتدي الناس به من ظلمات الجهالة والغواية والضلالة[8]. ومن هذه الآيات قوله تعالى (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)[9]، ويعني بالنور في هذه الآية الكريمة سيدنا محمد ﷺ، وانما سماه الله نورا؛ لأنه يهتدى بالنور في الظلام والى هذا المعنى ذهب بعض المفسرين، فقال : يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين خاطبهم من اهل الكتاب قد جاءكم يا اهل التوراة والانجيل من الله نور يعني بالنور محمدا ﷺ الذي انار الله به الحق واظهر به الاسلام، ومحق به الشرك فهو نور لمن استنار به يبين الحق، ومن انارته

[1] – سورة الحج / جزء من الآية ٧٨
[2] – تفسير الميزان، ٢٠ / ١٤٠
[3] – قبسات من الرسول، ٦
[4] – سورة الاحزاب / ٤٥ – ٤٦
[5] – نبوة محمد (ص) في القرآن، ١٢١
[6] – جامع البيان في تفسير القرآن، ١٢ / ١٨ و تفسير الميزان، ١٦ / ١٧٥
[7] – معجم مقاييس اللغة العربية، ٦٣٩
[8] – مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣ / ١٦٩
[9] – سورة المائدة / جزء من الآية ١٥

الحق تبيينه لليهود كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب[1]. وفي آية كريمة اخرى يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ❖ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)[2] وفيها نجد ان الله جل جلاله قد سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير[3].

- (برهان)

البرهان : الحجة البينة الفاصلة[4].

ولقد وصف الله نبيه ﷺ بانه برهان من الله في قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)[5]، والمراد بهذه الآية الكريمة انه قد جاءكم من قبل ربكم بفضله وعنايته بتربيتكم، وتزكية نفوسكم برهان عظيم او جلي يبين لكم حقيقة الايمان الصحيح بالله عز وجل وجميع ما تحتاجون اليه من امر دينكم مؤيدا ذلك لكم بالآيات والدلائل والبينات والحكم وهو سيدنا محمد ﷺ[6] الذي يظهر لكل من عرف سيرته في نشأته وتربيته وحاله في بعثته وسنته انه هو نفسه برهان على حقيقة ما جاء به، فكان برهانا على عناية الله له وتاييده اياه بوحيه وتوفيقه[7].

وفي تفسير العياشي عن عبدالله بن سليمان قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام قوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)[8] قال : البرهان محمد صلى الله عليه وآله والنور علي عليه السلام قال: قلت له: صراطا مستقيما قال: الصراط المستقيم علي عليه السلام[9].

- (أولويته بالمؤمنين)

[1] – جامع البيان في تفسير القرآن، ٤ / ١٦١
[2] – سورة الاحزاب / ٤٥ – ٤٦
[3] – روح المعاني، ٣ / ٤٧١
[4] – معجم مقاييس اللغة العربية، ٤٨
[5] – سورة النساء / ١٧٤
[6] – تفسير نور الثقلين، ٢ / ١٤٤
[7] – تفسير القرآن الكريم، ٣ / ٩٨ – ٩٩
[8] – سورة النساء / ١٧٤
[9] – تفسير نور الثقلين، ٢ / ١٤٦

قال تعالى (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)[1] وهذه الآية الكريمة ان دلت على شئ فأنما تدل على شفقة النبي ﷺ بامته، وان الولاء له والاسبقية في حقه فوق كل الاعتبارات بالنسبة للمسلمين، لانه اراد الخير لهم في الدنيا والآخرة، لذا جعل الله حقه فوق جميع الاولويات حتى من انفسهم، وقد قال ﷺ ((لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين))[2]. وقد قال بعض العلماء العارفين : هو اولى بهم من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة [3].

وفي تفسير على بن ابراهيم لهذه الآية الكريمة قال : نزلت (وهو أب لهم) وازواجه امهاتهم فجعل عز وجل المؤمنين اولاد رسول الله صلى الله عليه واله وجعل رسول الله أباهم لمن لم يقدر ان يصون نفسه ولم يكن له مال، وليس له على نفسه ولاية، فجعل الله تبارك وتعالى لنبيه الولاية على المؤمنين من انفسهم، وقول رسول الله صلى الله عليه واله بغدير خم : ايها الناس الست اولى بكم من انفسكم ؟ قالوا : بلى، ثم اوجب لأمير المؤمنين صلوات الله عليه ما اوجبه لنفسه عليهم من الولاية، فقال : ألا من كنت مولاه فعلي مولاه فلما جعل الله عز وجل النبى أبًا للمؤمنين الزمه مؤنتهم وتربية ايتامهم، فعند ذلك صعد رسول الله صلى الله عليه واله المنبر فقال : من ترك مالا فلورثته، ومن ترك دينا او ضياعا فعليّ واليّ، فألزم الله عز وجل نبيه للمؤمنين ما يلزم الوالد، والزم المؤمنين من الطاعة له ما يلزم الولد للوالد، وكذلك ألزم امير المؤمنين صلوات الله عليه ما الزم رسول الله صلى الله عليه واله من بعد ذلك، وبعده الائمة صلوات الله عليهم واحدا واحدا، والدليل على ان رسول الله صلى الله عليه واله وامير المؤمنين صلوات الله عليه هما والدان قوله(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)[4] فالوالدان رسول الله صلى الله عليه واله وأمير المؤمنين عليه السلام [5].

- (رحمة للعالمين)

[1] – سورة الاحزاب / جزء من الآية ٦
[2] – الجامع الصغير في احاديث البشير النذير، ٢ / ٧٥٣
[3] – الجامع لاحكام القرآن، ١٤ / ١٢٢
[4] – سورة النساء / جزء من الآية ٣٦
[5] – تفسير نور الثقلين، ٧ / ٢٥٦

يقول الله تعالى واصفا رسوله الكريم (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)[1]، فهو الرحمة المهداة للعالمين حقا وفعلا، وان الرحمة كانت عنده ذات اثر عام وللخلق كافة، فكان يداوي النفوس المريضة بالرحمة ويعالج الشاردة منها بالشفقة والرحمة. ومن القصص التي تروى في هذا المجال قصة ذلك الاعرابي الذي جاء يطلب من رسول الله ﷺ فاعطاه ثم قال له ((أأحسنت اليك)) فقال الاعرابي (ولا اجملت) فغضب الحاضرون من المسلمين وقاموا الى الاعرابي، فأخذه رسول الله ﷺ معه فزاده ثم قال له ((أأحسنت)) فقال الاعرابي (نعم : جزاك الله تعالى من اهل وعشيرة خيرا) فقال : لقد قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شئ، فان احببت فقل ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم، فقال الاعرابي (نعم) فلما كان الغد جاء رسول الله ﷺ فقال : ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم انه رضي، أكذلك؟ قال: نعم، فجزاك الله تعالى من اهل وعشيرة خيرا. فقال رسول الله ﷺ: ((مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم ان خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم، فتوجه لها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت اليه، واستناخت وشد عليها رحالها واستوى عليها، واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال لقتلتموه فدخل النار))[2].

- (ما ينطق عن الهوى)

قال تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)[3] وهذه الآية الكريمة تبين صفة من صفات النبي الاكرم محمد ﷺ وهي ان كل ما يتفوه به فهو وحي من الله تعالى، فلا يخرج نطقه عن رأيه بل بوحي منه عز وجل. وهذا ان دل على شئ فانه يدل دلالة واضحة لا لبس فيها على ان السنة الشريفة الواردة من مصادرها الحقة هي كالوحي المنزل في العمل[4]. وصيغة المستقبل (وما ينطق) في غاية الحسن، أي ما ضل حين اعتزلكم وما تعبدون في صغره وما غوى حين اختلى بنفسه ورأى ما رأى وما ينطق عن الهوى الآن حيث ارسل اليكم وجعل رسولا شاهدا عليكم. وكأن قائلا قال : فبماذا ينطق ؟ اعن الدليل او الاجتهاد ؟ فقال : لا، وانما ينطق عن الله بالوحي[5]، فالمصدر لحديثه هو الوحي الإلهي فهو مأمون من الانحراف والضلال كما قال الله عز وجل (مَا ضَلَّ

[1] – سورة الانبياء / ١٠٧
[2] – الخصائص الكبرى، ٢ / ١٨٩
[3] – سورة النجم / ٣ – ٤
[4] – الجامع لاحكام القرآن، ١٧ / ٨٥
[5] – التفسير الكبير، ٢٨ / ٢٨٠

صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ❖ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ❖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ❖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)[1]، ولا يخفى ما في هذا من الشرف الكبير للنبي الاعظم ﷺ ثم التسديد الرباني لكل ما يقوله او يتخذه من المواقف[2].

١- الخاتمة

بعد استعراض الآيات القرآنية التي تناولت **مقام النبي محمد ﷺ عند ربه**، وما تضمنته من دلالات عظيمة على **شرفه، وعلو منزلته، وقربه الخاص من الله تعالى**، يتضح جليًا أن القرآن الكريم لم يكتفِ بتبيان نبوته ورسالته، بل ارتقى بالخطاب إلى الإشادة بمكانته الكونية والربانية التي لا يماثله فيها أحد من الخلق.

لقد أظهر البحث أن **المقامات الخاصة بالنبي ﷺ** -كالمقام المحمود، ورفع الذكر، والخُلُق العظيم، والشفاعة العظمى، والعصمة، والاصطفاء- هي إشارات قرآنية تدل على **عناية الله بنبيه ﷺ في الدنيا والآخرة**، وتبين أيضًا أن تلك المنزلة كانت مقرونةً بالتكليف والمسؤولية، ولم تكن محض تشريف فحسب.

كما برزت **دلائل القرب الإلهي** في صور متعددة، منها قرب الوحي، وحادثة المعراج، والعناية الربانية، والحماية من الأذى، وكلها تؤكد أن النبي ﷺ هو **أقرب الخلق إلى الله، وأكملهم في التلقي والتبليغ والطاعة**.

٢- الاستنتاجات

١. أن **النبي محمدًا ﷺ يتمتع بمقام فريد** عند ربه لا يشاركه فيه أحد من الأنبياء أو البشر.

٢. أن **القرآن الكريم بيّن هذه المقامات بدقة وإعجاز**، مستخدمًا ألفاظًا تفيد العظمة والرفعة والتكريم.

[1] – سورة النجم / ٢ – ٥

[2] – تفسير الصافي، ٦ / ٨٣

٣. أن **خصوصيات النبي** ﷺ)كالشفاعة، والعصمة، وخاتمية النبوة) تمثل أصولًا عقدية يجب على كل مسلم معرفتها وتعظيمها.

٤. أن **قرب النبي** ﷺ **من ربه** جاء نتيجة طاعته الكاملة، واستعداده الروحي، وتكليفه الرباني بالرسالة الخاتمة.

٥. أن **توقير النبي** ﷺ **وطاعته** جزء من تعظيم الله، لقوله تعالى: **(مَّن يُطعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)**]النساء: ٨٠.[

٣- التوصيات

١. ضرورة **إدراج موضوع "مقام النبي** ﷺ**" ضمن مناهج العقيدة والدراسات القرآنية**، لما له من أثر في تعزيز الإيمان وتعظيم السنة.

٢. حث الباحثين على **دراسة المقامات النبوية من زوايا تربوية وأخلاقية** وربطها بواقع الأمة.

٣. التوسع في **الرد على الشبهات التي تنقص من مكانة النبي** ﷺ، عبر المنصات الأكاديمية والإعلامية.

٤. دعوة المسلمين إلى **ربط محبتهم للنبي** ﷺ **بالعلم والفهم القرآني**، وليس بالعاطفة المجردة أو التقاليد.

٥. التأكيد على أن **تعظيم مقام النبي** ﷺ **لا يتعارض مع التوحيد**، بل هو من كمال الإيمان، كما نصّت على ذلك نصوص الوحي وأقوال أهل العلم.

المصادر

١- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم ناصر الشيرازي، (كتاب الكتروني)

www. makaremshirazi. org / books / Arabic. htm

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م.

٣- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي، تحقيق وتصحيح: احمد حبيب نصير العاملي، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم المشرفة، ١٤٠٩هـ.

٤- تبيين القرآن، آية الله العظمى الامام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ٢٠٠٠م.

٥- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

٦ - التفسير الاصفى، الفيض الكاشاني، تحقيق: مركز الابحاث والدراسات الاسلامية، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم المشرفة، ١٤١٨هـ.

٧- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، تحقيق: السيد محسن الحسيني الاميني، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٤١٦هـ.

٨- تفسير القرآن الكريم، عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتاب، بيروت، ١٩٨٥م.

٩- تفسير القمي، علي بن ابراهيم القمي، تصحيح وتعليق: السيد طيب الموسوي الجزائري، ط/٣، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ايران، قم، ١٤٠٤هـ.

١٠- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الفكر، بيروت.

١١- تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للطباعة، قم المقدسة، ١٩٩٧م.

١٢- تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط/٤، مؤسسة الاسماعيليان للطباعة والنشر، قم، ١٤١٢هـ.

١٣- تنوير الاذهان في تفسير روح البيان، الشيخ اسماعيل حقي البروسي، تحقيق واختصار: محمد علي الصابوني، الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان، بغداد، ١٩٩٠م.

١٤- الجامع لاحكام القرآن، ابي عبد الله محمد بن احمد القرطبي، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٥- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨م.

١٦- الجامع الصحيح، محمد بن اسماعيل البخاري، دار احياء التراث، بيروت، ١٩٥٨م.

١٧- الجامع الصغير في احاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٨- الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، ط/٢، بغداد، ١٩٨٤م.

١٩- رسول الله في القرآن، احمد محمد السردان، ١٩٩٨م.

٢٠- الرسول العربي المربي، عبد الحميد الهاشمي، دار الثقافة للجميع، دمشق، ١٩٨١م.

٢١- روح المعاني (تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، ابي الثناء الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه.

٢٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، ط ١٣، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٣- قبسات من الرسول، محمد قطب، ط ٢٠، مكتبة وهبة.

٢٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.

٢٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٦- مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.

٢٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٨- معجم مقاييس اللغة العربية، احمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢٩- مفاتيح الغيب، محمد ضياء الدين عمر الرازي، دار الفكر، ١٩٨٥ م.

٣٠- مفهوم الاخلاق واساسه وقبس من اخلاق النبي (ص) حسبما ورد في القرآن، جمال محمد الباجوري، بحوث الندوة الفكرية الرابعة لدراسة شخصية الرسول محمد (ص)، جمهورية العراق، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية.

٣١- موسوعة اخلاق القرآن، احمد الشرياجي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١ م.

٣٢- نبوة محمد (ص) في القرآن، حسن ضياء الدين متر، دار النصر، حلب، ١٩٧٣ م.